الدراسات الفنية

المرتكزات الفكرية المعززة للهوية الثقافية العربية في الخطاب المسرحي العراقي
(مسرحية الميدان) عقيل مهدي استدلالاً / دراسة تحليلية

المدرس الدكتور
محمد جاسم مطرود الشبيلي
جامعة القادسية – كلية الفنون الجميلة

المرتكزات الفكرية المعززة للهوية الثقافية العربية في الخطاب المسرحي العراقي (مسرحية الميدان) عقيل مهدي استدلالاً / دراسة تحليلية

((The intellectual Foundations that enhance the Arab Cultural identity in the Iraqi Dramatic Discourse))

('AL-Meedan' Literary play) Inferenced by Aqil Mahdi) / An analytical study

المدرس الدكتور
محمد جاسم مطرود الشبيلي
جامعة القادسية - كلية الفنون الجميلة
Muhammad Jasim Matroud Al-Shubaily
Al-Qadisiyah University/College of Fine Arts
mohammed.jasim@qu.edu.iq
nooractor@yahoo.com

الملخص:

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على أحد أبرز القضايا التي باتت تطرح نفسها وبقوة لاسيما في عصرنا اليوم الذي يشهد تفاعلات ثقافية رهيبة نتيجة انتشار مد العولمة Globalisation، وهو ما يدعونا لضرورة الحفاظ على الموروث الثقافي عبر الخطاب المسرحي الذي له الدور البارز في إحداث تغييرات حقيقة في قناعات المتلقي، خاصة الحفاظ على الهوية الثقافية من الانسلاخ امام مظاهر الاستلاب الفكري بتأثير الخطاب المسرحي الغربي. ولكون المسرح واحدا من روافد الثقافة عبر العصور له أبعاد مستقبلية وفق استراتيجيات كثيرة عبر خطاباته المتعددة التي لها تأثير واسع النطاق على المجتمعات وتوجيه الفكر الوجهة الصحيحة أو العكس، لذا يطرح ذلك العديد من التحديات تدور حول كيفية تعزيز انتماء الفرد لهويته الثقافية غبر الخطاب المسرحي. لذا تمحورت مشكلة البحث بالاستفهام الاتي: **ما المرتكزات الفكرية التي تعزز الهوية الثقافية في الخطاب المسرحي العراقي؟**

أما أهمية الموضوع والتحديات المطروحة تسعى هذه الدراسة وفي نوع من المقاربات

الفينومينولوجيا تبيان مدى أهمية الخطاب المسرحي في الارتقاء بالهوية الثقافية العراقية وتطويرها ودراسة أبعاد ذلك مستقبلا على هوية المجتمع وضمان استقراره بغية ترسيخ قيمة الهوية باعتبارها وثيقة انتماء الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه، باستخدام خطابا مسرحيا عصريا جديداً وجذاباً استجابة لمتطلبات العصر واستشراقا للمستقبل. عبر اليات تفكيك وتركيب الخطابات المسرحية المؤدلجة.

الكلمات المفتاحية: المرتكزات الثقافية، الهوية الثقافية ، الانتلجنسيا، التثاقف.

Summary:

The research seeks to shed light on one of the most prominent issues that have come to present themselves strongly, especially in our time, which is witnessing terrible cultural interactions as a result of the spread of the tide of globalization, which calls us to the need to preserve the cultural heritage through theatrical discourse that plays a prominent role in bringing about real changes in convictions.

The recipient, especially the preservation of cultural identity from alienation in the face of manifestations of intellectual alienation by the influence of Western theatrical discourse. Because theater is one of the tributaries of culture through the ages, it has future dimensions according to many strategies through its multiple discourses that have a wide impact on societies and direct thought in the right direction or vice versa. Therefore, this raises many challenges and questions centered on how to enhance the individual's belonging to his cultural identity through theatrical discourse. Therefore, the research problem focused on the following question: What are the intellectual foundations that enhance cultural identity in the Iraqi theatrical discourse? As for the importance of the topic and the challenges presented, this study, in a kind of phenomenological approach, seeks to show the importance of theatrical discourse in upgrading and developing the Iraqi cultural identity and studying the dimensions of that in the future on the identity of the community and ensuring its stability in order to establish the value of identity as a document of the individual's belonging to the community in which he lives, using a modern theatrical discourse. New and attractive in response to the requirements of the times and an outlook for the future. Through the mechanisms of dismantling

Keywords: cultural, foundations, cultural,identity, intelligentsia, acculturation.

and installing ideological theatrical discourses.

الفصل الاول: الاطار المنهجي :

مشكلة البحث:

يعد الحديث عن الهوية الثقافية وعلاقتها بالخطاب المسرحي من بين التحديات التي تشغل الساحة الثّقافية العالمية والعربية بشكل كبير لاسيما في علاقة تلك التحديات بالمجال الدعوي ونشر ثقافة العولمة، اذ أصبح هذا الموضوع مثار الرأي العام في ظل تصاعد وتيرة الحروب الثّقافية والاستلاب الفكري الممارس بشتى انواع الخطابات الإعلامية (صحف، مجلات، قنوات، برامج متنوعة) او فنية (مسرح، سينما، مسلسلات، الخ) والتي شكلت هاجسًا كبيرا لاسيما للدول التي اصابها التدهور السياسي والاقتصادي على مستوى العلاقات الدولية، وهو ما حدى بالمؤسسات الثقافية إلى تكثيف الجهود لصياغة خطاب مسرحي عصري سعيًا للحفاظ على الهوية الثقافية من مد العولمة بإقامة ملتقيات وعقد ندوات بين الخبراء المتخصصين للبحث والتّخابر في سبيل إماطة اللّثام عن المخبوء من الافكار التي تبثها ايديولوجيات مختلفة لتحقيق اهداف وغايات متعددة، فالرغبة بالهيمنة اليوم أخذت سبلاً جديدة ووسائل عديدة اختلفت عن سبل الاستعمار التقليدي المباشر، اذ أصبح السباق من مضمار التسلح إلى مضمار السيطرة الثّقافية وتشويه الهويات، لتصبح الثقافة السائدة هي الثّقافة الغالبة والثّقافة التابعة هي الثّقافة المغلوبة، وهو ما يُلاحظ اليوم جراء الاختراق الثّقافي لبنية الهوية العربية عموما والعراقية بوجه خاص التي تشهد غزوًا لمقوماتها من طرف الثّقافة الغربية، لاسيما تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة وشيوع عولمة الافكار الذي اسهم في ضعف الخطاب القومي بشكل كبير، الأمر الذي سهل مهمة هذا الغزو في تحويل العالم إلى نظام القطب الواحد وبالتّالي الثّقافة والهوية الواحدة وتحقيق هدف **تسطيح العالم**، لذا وجب التركيز على الخطاب المسرحي للأعمال المسرحية الهادفة باعتبارها الوجهة الأكثر تأثيرا، في محاولة الرد على الافكار المعارضة المتمثلة في العديد من الخطابات المسرحية ومحاولة ايجاد بديل شرعي في قالب عصري، والاشارة الى كيفية توظيف الخطاب المسرحي لتعزيز الهوية الثقافية في ظل العولمة الفكرية ودورها في تهميش وإقصاء الاعمال الرصينة التي تسلط الضوء على الثّقافة العربية والعراقية باعتبارها ثقافة عالمية لها حضورها وتأثيرها، لذا تمحورت مشكلة البحث بالاستفهام الاتي: **ما المرتكزات**

الفكرية المعززة للهوية الثقافية في الخطاب المسرحي العراقي؟

اهداف البحث :

- تعرف المرتكزات الفكرية التي تعزز الهوية الثقافية في الخطاب المسرحي.

اهمية البحث والحاجة اليه:

تتبع اهمية البحث من اهمية الموضوع (الهوية الثقافية) ومالها من دور بارز في استمرار الاثر الحضاري للأمم والمجتمعات باختلاف ثقافاتها، وتنامي ذلك الاثر في الحاضر والمستقبل، وربط موضوع الهوية بالخطاب المسرحي كونه احد العوامل التي تسهم بالحفاظ على الهوية الثقافية وتثبيت مقوماتها لدى ابناء تلك الثقافة والعمل على تعزيز المرتكزات الفكرية عبر عصرنة الخطاب المسرحي.

اما الحاجة اليه : فتفيد الدارسين في كليات الفنون الجميلة ومعاهدها، والعاملين في المجال المسرحي من مخرجين ومؤلفين ونقاد. فضلا عن دورها الاجتماعي في تعزيز المواطنة لدى افراد المجتمع، لدا فقد تساعد الدرسين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. كما انها قد تساعد منضمات المجتمع المدني في برامجها التثقيفية في الحفاظ على الهوية الثقافية.

حدود البحث:

الحدود الزمانية : (٢٠٢١/١٢/١_ ٢٠٢٢/٣/٣٠). الحد الزماني هو زمن الدراسة الحالية وليس زمن النص المدروس

الحدود المكانية : مكان الدراسة (العراق بابل).

الحدود الموضوعية : تتبع المرتكزات الفكرية المعززة للهوية الثقافية في الخطاب المسرحي العراقي.

تحديد المصطلحات:

اولاً: المرتكزات.. **أ. لغة:** تعريف ومعنى مرتكزات العمل أو البناء في معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي: (١).

- مُرْتَكَزَاتُ العَمَلِ أَوِ البِنَاءِ:
- "أُسُسُهُ، دَعَائِمُهُ...ركّز الفكر أو نحوه في الشّيء: حصَره فيه
- ركّز انتباهه في المحاضرة– ركَّز فكرَه في إيجاد حلّ للمشكلة.
- ركيزة رَكيزة [مفرد]: ج رَكَائزُ ورِكاز: ١– أساس يعتمد عليه"(٢).
- "رَكَزَ شيئاً في شيء ُ رَكْزاً: أقرّه وأثبته"(٣).
- "ارتكزَ إلى / ارتكزَ على / ارتكزَ في يَرتَكِز ، ارتكازًا ، فهو مُرتَكِز ، والمفعول مُرتكَز إليه
- اِرْتَكَزَ عَلَى عَصَاهُ : اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا
- اِرْتَكَزَ الأساسُ : ثَبَتَ واسْتَقَرَّ"(٤).

ب. المرتكزات اصطلاحا:

• "محوَر الارتكاز /نقطة الارتكاز: أساس، مركز استناد ثابت تعتمد عليه عَتَلة أو رافعة في تحرُّكها.

• الرَّكِيزَةُ : ما يرتكز عليه ، أساس"(٥).

ثانياً: الفكر.. **لغةً:** "... والفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري، ورجل فكير: كثير التفكير، وقال الجوهري: التفكر: التأمل"(٦). الفكر، بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء كالفكرة"(٧).

ب . اصطلاحاً:

_ "... الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"(٨).

_ ورد في الموسوعة الفلسفية بتعريفات عدة منها: "الفكر (هو)النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات... هو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر"(٩).

ويقسم (الجابري) الفكر الى ثلاث مستويات هي: (الفكر كأيديولوجيا، الفكر كأداة، الفكر كمحتوى) فيعرف الفكر كأيديولوجيا بمعناها الواسع بأنها "مضمون الفكر ومحتواه، أي جمله الآراء والأفكار التي يعبر بواسطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الأخلاقية ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وأيضاً عن رؤيته للإنسان والعالم". اما الفكر كأداة بأنه: "أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الأيديولوجيا أو داخل دائرة العلم، هو أداة بمعنى أنه جملة مبادئ ومفاهيم وآليات، تنتظم وتترسخ في ذهن الطفل الصغير منذ ابتداء تفتحه على الحياة لتشكل فيما بعد "العقل" الذي به يفكر، أي الجهاز الذي به يفهم ويؤول ويحاكم، ويعترض، وهي عبارة عن عناصر متداخلة ومتشابكة بصورة تجعل منها بنية: أي منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات، الأمر الذي يعني أن الفكر أداة تعمل بثوابت معينة وأن عملها ذاك لا يخترق حدوداً معينة كذلك، هي الحدود التي تنتهي عندها التحولات والتغيرات التي تقبلها تلك الثوابت، أي التي لا تمسها في ثباتها وتماسكها"(١٠).. بينما عُرف الفكر كمحتوى بانه: "جملة من الأفكار والآراء والنظريات تنظمها عناصر ترتبط بعلاقات بنيوية، علاقات تجعل منها أجزاء تستقي دلالتها ووظيفتها من الكل الذي تنتمي إليه، وهي بنية من التصورات، ومن الآراء الأفكار والنظريات"(١١).

المرتكزات الفكرية اجرائيا: الاسس والثوابت المنطقية التي تسهم في تشكيل ثقافة الفرد وتوجهاته وتحدد انتمائه وهويته.

ثالثاً: تعزيز: **لغةً:**

– ...، وعززنا فلانا او غيره: قوّاه ودعمّه وشدده، جعله عزيزاً(١٢).

– وجاء في التنزيل العزيز: (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) (١٣).

– فعزز موقعه: عضده وقواه.

– عزَّز فلانًا أو غيرَه: قوَّاه، دعَّمه، شدَّده،

– تَعَزَّزَتْ مَكَانَتُهُ بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ : تَقَوَّتْ، تَشَرَّفَتْ.

– تَعَزَّزَتْ عَضَلاَتُهُ : صَلُبَتْ، اِشْتَدَّتْ... نَظَرَ بِاعْتِزازٍ إِلى إِبْداعِهِ : بِافْتِخارٍ"(١٤).

أ. اصطلاحا:

عرفه دولارد وميلر بانه :" اي حدث يزيد من احتمالية حدوث استجابة معينة"(١٥).

ورد التعزيز في معجم المصطلحات التربوية بانه: ما يعقب الاستجابة او السلوك من اثار، منها ما هو مرضي، مربح ، مقنع، مشبع، ايجابي، فيقال اثرٌ طيب او مكافئة او تعزيز موجه، منها ما هو غير مرضٍ، مؤلم ، منفر او سالب، له اثر غير طيب او تعزيز سالب(١٦). فالتعزيز هو عملية تثبيت السلوك المناسب، او زيادة احتمالية تكراره في المستقبل، وذلك بإضافة مثيرات ايجابية، او ازالة مثيرات سلبية بعد حدوثه. ولا تتوقف وظيفته على زيادة احتمالية تكرار السلوك في المستقبل فحسب، بل انه ذو اثر ايجابي من الناحية الانفعالية ايضا، فالتعزيز يؤدي الى تجويد الذات وتحسينها(١٧).

رابعاً: الهوية..

أ. **لغةً:** ان كلمة (الهُوية) (بضم الهاء)، هي كلمة "جديدة طارئة على اللغة العربية"، اد إن مصطلح (الهُوية) لا يمت في حد ذاته بصلة إلى جوهر اللغة العربية "فهو طارئ عليها". إن المعاجم العربية القديمة تخلو من كلمة (الهُوية– بضم الهاء)، ولا نجد هذه الكلمة الا في المعاجم الحديثة مع ذلك فإنها قد استقرت كاصطلاح له تعريفاته التي تعكس مفهوم المعرفين له"(١٨).

ويعرف (الجرجاني)، الهوية" هو الامر المتعقل من حيث امتيازه عن الاغيار، والامتياز هذا بمعنى الخصوصية والاختلاف لا يعني التفاضل، وعى هذا فانتفاء خصوصية اليء هو انتفاء لوجوده ونفيه"(١٩).

ب. اصطلاحاً:

تشتق الهوية من كلمة الـ (هو) حرف الرباط الذي يدل في اللغة العربية على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، ويعرفه علماء الاجتماع على أنه الشيء الذي يُشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه والانتماء إليه. ذلك الشعور بالهوية والانتماء، تتضافر من أجل تشكيله مجموعةٌ من العوامل، تقف على رأسها اللغة(٢٠). وفي منظور الثقافة الغربية عرفت الهوية "بأنها تنظيم الانسان لعلاقاته وخصائصه ورغباته وتوجهاته السابقة واللاحقة والتي تعبر عن ذاته وعن اتجاهاته نحو الناس. وعُرفتْ ايضا بانها احساس الانسان بالاستمرارية عبر

الحياة واحساسه بالولاء والانتماء الى فئة ما او فكرة ما"(٢١).

الهوية الثقافية اجرائياً: كل ما يحمله المرء من لغة وموروث حضاري وقيم ومعتقدات وعادات وتقاليد تشاركه بها المجموعة الاجتماعية التي ينتمي اليها.

الفصل الثاني : الاطار النظري :

المبحث الاول: الهوية الثقافية والاستلاب الفكري:

المحور الاول: الهوية الثّقافية بين الاصالة والاستلاب الفكري:

يعد مفهوم الهوية الثّقافية من المفاهيم الجدلية التي تستعصي على الباحث، فهي مفهوم زئبقي يتداخل مع العديد من العلوم خاصّة علم الاجتماع ويطرح العديد من الإشكاليات المتداخلة في ظل الاستلاب الفكري الممارس عبر مختلف الخطابات المسرحية، فقد حاول العديد من الباحثين ولوج معترك البحث فيها بقصد وضع مفهوم محدد لها، فربطها كل مفكر بعنصر معين.

يرى الفيلسوف المغربي (محمد عابد الجابري) ان : "**الهوية الثّقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثّقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية**"(٢٢). ولعل هذا الرأي يتسق مع ما أكده المفكر المصري (محمد عمارة) بقوله: "**الهوية ثوابت الشيء التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا لتلك الجماعة**"(٢٣). والمتتبع للحراك الثّقافي يلحظ أن الاستلاب لبنية الهوية الثقافية العربية ازداد وبشدة بعد نكسة حزيران١٩٦٧، ولعل مرد ذلك راجع لكون تلك الصدمة التّاريخية زعزعت كيان المجتمعات العربية في نظرتهم إلى هويتهم وزعزعت ثقتهم في عدد من قياداتهم السياسية، فعرفوا بذلك حقيقة وجودهم في سيرورة الحركة الحضارية للعالم، فهناك من الكتاب من انتحر أمثال خليل حاوي إثر اجتياح الكيان الصهيوني لمدينة بيروت سنة ١٩٨٢، وهناك من توقف عن الكتابة، وهناك من تحول إلى الكتابات ذات الطابع السوداوي... وغيرها. وهذا ما كان ليكون لولا فقدان المجتمع العربي لتلك البوصلة الهوياتية في توجيه حياة افراده وتعزيز روابط الأخوة فيما بينهم لاسيما في الفترات العصيبة التي تتزايد فيها عمليات الاختراقات الثقافي الساعية لزعزعة هويته الثقافية وتفكيك اواصرها،

لتبدأ فيما بعد رحلة العرب مع محاولات لَمّ شعث الهوية المهزومة آنذاك، فكان الأمر بين مد وجزر الى يومنَا هذا ناهيك عن ذلك الحادث العالمي وهو أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ الذي كان له الدور الفاعل كمطية للفتك بالهوية العربية الإسلامية انتقامًا عبر نشر الاعلانات التي تروج لربط الإرهاب بالهوية الإسلامية والنصوص الدينية الإسلامية، فأصبحت مختلف الوسائل الاعلامية تسعى لزرع الكراهية لدى الشعوب الغربية بكل ما له صلة بالعرب والدين الإسلامي، لتتتابع الأحداث تلو الأخرى نتيجة ذلك الحدث ليصل الأمر إلى حد الفتك بالهوية العراقية عبر الطائفية القاتلة بعد احداث ٢٠٠٣ التي حرضتها خطابات فكرية منحرفة لا تمت للإسلام بأي صلة خاصّة بعد ثورات الرّبيع العربي، والتي أوجدتها نظريات فكرية انتجتها مراكز فكرية غربية، لعل أبرزها نظرية تسطيح العالم الساعية إلى نسف الثّقافات والقضاء على التنوع الثّقافي والديني ليس بالعراق والوطن العربي فحسب بل في العالم باسره، عبر العديد من الوسائل لعل أبرزها هي العولمة بمختلف أنواعها سواء العولمة السياسية أو الاقتصادية أو الاعلامية أو غيرها من أنواع العولمة، وهو ما اوجدته في العراق واليمن وليبيا وسوريا، اذ يُلاحظ فيها تشظ شديد لمعالم التّنوع الديني والطائفي، نتيجة ذلك التباين الحاصل بين أقطاب تدير مصالحها هناك بإحكام شديد، فكانت هذه الدول هي الضّحية في القضاء على جماليات التنوع الثّقافي للأمة العربية والاسلامية استلابًا لكل ما يمت لهويتها بصلة عبر نشر بعض الأفكار الدينية المنحرفة وربطها بتعاليم العلوم الشرعية. وقد شكلت الخطابات الثقافية المُرَوج لها عبر مختلف وسائل الاعلام في عصر المركزية الغربية نوع من أنواع الاختراق الفكري يدعو الى استعمار مقنع عرف عبر التاريخ وليس وليد اليوم، ولكن مع تطور العلم وظهور وسائل اتصال جماهيري حديثة وسريعة، عاد وبقوة ليعبر عن امبريالية ثقافية تهدف الى تشويه الهوية بكل مقوماتها(الحضارية، الدينية، الموروث الثقافي، الخ)، لتحكم القوى المهيمنة سيطرتها على العالم، ولكن هذا التشويه يأتي عن طريق وسائل عدة منها الاعمال المسرحية التي تعد من العوامل الأكثر فتكا بالعقول التي تُمرر عبرها الرسائل الفكرية بطريقة غير مباشرة وهي الأكثر سرعة على الاختراق لمختلف الثقافات ومن ثم التوجه لها بما يخدم سياسات القوى العالمية الساعية لسلب الهوية وفق استراتيجيات مستقبلية بعيدة المدى. ولعل نظرية القوة الناعمة من خلال بعدها الفكري الجديد عن طريق العولمة تنطلق من أمور استراتيجية عديدة أبرزها تحريك الرأي العام من خلال الخطاب المسرحي نحو أفكار عدائية تشوه الخطاب الفكري الاسلامي، وبالتالي يزيد فاعلية القوة الناعمة على توجهات الجماهير فهي كما

لخصها الباحث (رفيق عبد السلام) في "**القدرة على الاحتواء الخفي والجذب اللين، بحيث يرغب الآخرون في فعل ما ترغب فيه القوة المهيمنة من دون اللجوء إلى استخدام القوة، أو بما يغني عن استخدام سياسة العصا والجزرة أصلا على ما يقول الباحث الأمريكي _صمويل هنغتون_. وإذا ما كانت القوة الصلبة تنبع أساسا من القدرات العسكرية والاقتصادية، فأن القوة الناعمة تتأتى من جاذبية النموذج وما يمتلكه من قدرة التأثير والإغراء لدى النخب والجمهور على السواء. فحينما تبدو السياسة الأمريكية مقبولة ومشروعة في أعين الآخرين على ما يقول** جوزيف ناي(٢٤)، **يتعاظم دور القوة الناعمة أكثر، وبموازاة ذلك تتراجع الحاجة إلى استخدام القوة العارية، وعلى العكس من ذلك، كلما تضخم استخدام القوة الإكراهية وضعفت شرعية مثل هذا الاستخدام، يتضاءل معهما النفوذ الثّقافي والسياسي والتجاري وكل ما يدخل ضمن دائرة القوة الناعمة**"(٢٥). مما تقدم تشير الدراسة الى مفعول العولمة الفكرية والاستلاب الثقافي الممارس على العقل الباطن للسيطرة على الشعوب وتحريكها صوب غايات مخطط لها مسبقا وفق أجندة مدروسة من قبل اخصائيين في علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية ودارسين لمقارنة الأديان وغيرها من العلوم، وهو ما يحتم علينا دراسة تلك الابعاد الإيديولوجية التي تمارسها الخطابات المختلفة بضمنها الخطاب المسرحي ودورها في الترويج لثقافات معينة في أذهان المتلقين لتشويه ما يحملونه من قيم واظهاره وفق صورة معينة تخدم الاجندات الغربية، وهو ما يضعنا أمام حاجة ملحة إلى الارتقاء بالخطاب المسرحي إلى مقام الإقلاع والارتقاء بالمجتمع نحو الأمان الحضاري في مواجهة مد الاستلاب الثقافي الممارس عليه، وضرورة نشر الوعي والتحصين الفكري خاصة لدى الشباب، فضلا عن تفعيل سبل الاستشراف المتوازن للمستقبل ودراسته من مختلف جوانبه وأبعاده، بمنهج رصين يقوم عليه اساتذة مختصين في العلوم المسرحية والادب والنقد المسرحي، إلى جانب ايجاد برامج اعلامية وحلقات نقاشية توضح حجم المخاطر التي تتعرض اليها الثقافة العربية عموما والعراقية بوجه خاص، فتتلاقح فيها التجارب ويتم استثمارها استثمارا حقيقيا عبر مختلف وسائل الاعلام ذات التوجه المحايد، لترسيخ قواعد البناء الحقيقي وتحصين هوية الاجيال من ممارسات الهدم والاستلاب الحضاري الذي تمارسه الخطابات المسرحية المختلفة.

المحور الثاني: الخطاب المسرحي والأبعاد الايديولوجية:

يرتبط الخطاب المسرحي بالمعرفة بمختلف انواعها، ولذلك فالخطاب له ارتباط وثيق بالتحولات الفكرية الناتجة عبر عولمة الافكار، فللعولمة دور كبير ادخال الأيديولوجيات

المختلفة في صراعات قصد الإبقاء على الفوضى بطريقة خلاقة ومنظمة تُدار من أطراف تتقن جيدًا فن إدارة الفوضى، فهذه السياسات تحاول نسف الايديولوجيات المنافسة وتفكيكها وظيفيًا وفق استراتيجيات شديدة الخطورة، وبالتالي تحدثُ خلخلة عميقة لذلك البناء الاجتماعي Social Structure واضعة للخطاب المسرحي ايديولوجيا معينة بحسب ما تعتبره الفكر النموذجي الذي يجب الاحتذاء به عبر وضع شخصيات في الاعمال المسرحية لديها خطاب معين في اطار عمليات العلمنة الثقافية، اذ يتم الترويج والتزيين لتلك الخطابات بإيعاز من أطراف تعمل في الخفاء من وراء محاور المهرجانات المسرحية التي تعمل على جذب المسرحين ثقافيا لتلك السياسات التي تهدف الى تغيير واقع معين، وهذا ما حصل عندما قدم (ابسن) النرويجي مسرحية (بيت الدمية) التي اثارت حفيظة المجتمع الاوربي في تلك الفترة كونها جاءت بأفكار بعيدة عن عادات وتقاليد المجتمع النرويجي. وجعلت الجمهور يغضب من الكاتب ويثير فوضى اثناء العرض تعبيرا عن رفضه لمثل تلك الايديولوجيا التي طرحها الكاتب في مسرحيته .. وبعدها عاد ليخفف من غضب الجمهور فكتب مسرحية (الاشباح) وهي على النقيض من بيت الدمية، ثم شيئا فشيئا تقبل المجتمع الغربي فكرة تحرر المرأة وخروجها على العادات والتقاليد وامن بفكرة الديمقراطية التي رعتها الأيديولوجيا الحديثة، ثم ذهبت تلك المفاهيم ابعد من حرية السلوك فنادت بحرية الفكر والمعتقد وبالتالي أُتيحت لسارتر فرصة الالحاد ونكران وجود الله ويكتب العديد من المسرحيات في هذا المضمار مثل (الذباب، المومس الفاضلة، وجلسة سرية، الايدي القذرة، وغيرها) وكلها تبيح الجنس وتهتك الاعراض تحت ذريعة الشهوة والمشاعر والحب والحرية، متجاوزاً الدين بعيداً عن كل نواميس الانسانية، ومثله فعل البير كامو في مؤلفاته(الطاعون، اسطورة سيزيف، الموت السعيد، الانسان المتمرد..) التي انكرت الامل في الحياة وبررت الانتحار بعد بلوغ الانسان مرحلة اللاجدوى وامتدت هذه الفكرة الى مواطنه روبير ميرل ليُنسج على منوالهم ما يعتدي به على قدرة الاله وتعطيل مهامه بل يصل الى حد اخضاعه لشروطه وطلباته في مسرحية (سيزيف والموت) في نفس الوقت لم يمنع هذا الفكر ظهور كتاب كرّسوا كتاباتهم من اجل الحفاظ على هويتهم وانتمائهم الفكري والحضاري امثال الروسي (تولستوي) الذي قدم خطابا مسرحيا فكريا يقدس النفس البشرية بكل فضائلها ولم يرضى لها الانغماس في الرذيلة، فإيمانه بقدسية الإنسان حفز لديه هاجس العودة إلى التلقائية والفطرة والطبيعة للخصال الإنسانية، أي (الإنسان الأصل) الذي لم تلمسه شوائب المادة ولم يتعرض لتزيف الصورة الإلهية المتجلية فيه لتفتح

أمامه أبواب الحقيقة المطلقة، "فكان بحثه ينطلق من (العامل الريفي)، كنموذج للإنسان الحقيقي، ذلك الإنسان الذي لم تضمر (خصاله الطبيعية)"(٢٦). دعا تولستوي الى التخلص من عبودية الجسد وكانت فلسفته مبنية على الادراك الديني كنوع من السمو والاتجاه نحو المطلق وصولا للحياة الحقيقة وتحقيق العدالة الكاملة، مؤكدا على ترك الشهوات والتحرر من ملذات الجسد والسمو بالنفس الانسانية الى مرحلة الكمال والخلود وهذا ما يتجلى في مسرحيته (آنا كارنينا).

وما بين هذا وتلك باتت الثقافة العربية باعتبارها قليلة الفاعلية في سياق التواصل الحضاري للعالم تواجه تحديات كبيرة لحفظ هويتها الفكرية أمام مد العولمة السياسية والفكرية المهيمنة على العالم، وهو ما يُلاحظ بشكل جلي في الخطاب السياسي لدول الربيع العربي حينما انتشرت خطابات مسرحية مختلفة لا تمت بأي صلة لجوهر الثقافة العربية والدين الاسلامي الذي يحث على الأمن والسلم والمساواة والتسامح وأخوة أبناء الوطن الواحد مهما اختلفت أعراقهم ومللهم ونحلهم وتوجهاتهم الايديولوجية. وأمام هذه النّزعة الفكرية المبطنة بدواعي شيفرة ايديولوجيا الديمقراطية على الطريقة الغربية وغيرها من الأقنعة المصطنعة التي أوهمت الشعوب بضرورة تطبيقها في أنظمتهم السياسية عبر الترويج لها إعلاميا وبخطابات مسرحية متعددة، أدى ذلك إلى ظهور العديد من الاعمال تحمل خطابات فكرية تتسق مع تلك الايديولوجيا الوافدة كرد فعل اتباعية لتلك السياسات المتبعة من طرف الثقافة الغربية في تعاملها مع الثقافة العربية او تعبيرا تثاقف المجتمع وتأثره بالافكار الوافدة اليه "**فهي من أي موقع تعبر عن ايديولوجيا، إنها بعبارة أدق تحاول تكريس نفسها ومنظومتها، من خلال نزع الشرعية عن أية ايديولوجيا واكسابها لنفسها بعد الإيهام بتحرر منظومتها من الأيديولوجيا**"(٢٧)

فالاختراق الفكري للثوابت الدينية في نسخته المسرحية الجديدة المعولمة للأيديولوجيات من خلال الغرس الثقافي أدخل العالم في مأزق حضاري مدمرًا للهويات ومقصياً للتّنوع الثّقافي الذي يحفظ كيان المجتمعات، وهو ما دفع عالم الاجتماع الفرنسي **ألان توران**(٢٨) للقول: "**كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها**"(٢٩). الامر الذي يوجب الخلاص من ايديولوجيا تدعو لهوية واحدة، عبر الخطاب المسرحي ولا تعطي مساحة كافية لباقي الهويات الثقافية، كالتشوه الحاصل في هويات الشعوب العربية ومنها (العراق وسوريًا وليبيا واليمن) وغيرها من الدول العربية التي أصبحت تتجسد فيها قيم دخيلة تنتمي لمخطط ايديولوجي مرتبط بسياسات الدول الغربية وسعيها الحثيث لتطبيق تلك الشيفرة

الاقصائية في نسيج بنيتها الفكرية، الامر الذي جعل العالم امام متحديات عصيبة في جوانب مختلفة، لعل أبرزها مستوى إقبال الدارسين عليها، والترويج لمناهجها باعتبارها بديلا عن تلك الخطابات المسرحية الرجعية البالية، فضلا عن طرائق تدريسها والمستوى الفكري لمن يشرف على هذه البرامج التدريبية، وتكوين معلمها في المستويين المدرسي والجامعي للوصول إلى عقول المتلقين والعاملين في الكتابة المسرحية، وعلاقتها بالعلوم الأخرى خاصة علوم الاعلام والاتصال لما لهذه الوسائل من تأثير عميق لدى المتلقين لها، وكذلك الدور الكبير للمؤسسات المختلفة في الاستفادة منها، ودورها في خدمة المجتمع وحل مشكلاته خاصة في عصر الأزمات النفسية التي يتخبط فيها المجتمع نتيجة عدم فهمهم للجوهر الحقيقي للمسرح.

المبحث الثاني: المرتكزات الفكرية التي تشكل الهوية الثقافية :

تعد الهوية بمثابة الايقونة الدالة على نمط حضارة وثقافة الامم، ويمكن عدها اختصاراً لنمط الحياة وطريقة التفكير واساليب العيش والثقافة بمراحل تطورها التاريخي وافكار ومعتقدات مجتمع معين. ولذلك يمكن تناول عدد من مرتكزاتها الاساسية وهي (اللغة، الدين، والتراث والقيم والاخلاق).

المحور الاول : اللغة:

تعرف اللغة اصطلاحاً بانها نسق من الرموز والإشارات التي يستخدمها الإنسان بهدف التواصل مع البشر، والتعبير عن مشاعره، واكتساب المعرفة، وتعدّ إحدى وسائل التفاهم بين الناس داخل المجتمع، ولكل مجتمع لغة خاصّة به، وتعرف ايضاً بأنّها عبارة عن رموز صوتيّة لها نظم متوافقة في التراكيب، والألفاظ، والأصوات، وتُستخدم من أجل الاتصال والتواصل الاجتماعيّ والفردي(٣٠). فالحفاظ على الارث الثقافي الذي تشكله اللغة يخلق نوعا من الترابط الجدلي بين الثقافة واللغة لا يمكن التخلي عن احداهما. فاذا كانت اللغة هي وسيلة ايصال الفكر الذي من خلاله يتفاعل الانسان مع المواقف المختلفة، فان الثقافة هي ذلك الكيان المتشابك وغير الملموس الذي يفرض عليه طرقاً محددة في التعامل مع الاخرين ويحدد استجابته تجاه تلك المواقف(٣١). ومن هذا المنطق باتت الهوية الثقافية لأي امة هي بمثابة البصمة التي تحملها دون غيرها من الامم. وهي التي تمنح الشخصية المتمسكة بلغتها وثقافتها قدراً من التميز عن سواها. ومع ظهور اتجاه يدعو الى التعددية والتفاعل الفكري والحضاري واسقاط الهوية الذاتية وتجنب الحديث عن الاستلاب الفكري، كل ذلك جعل هويات الامم مهددة بالضياع تحت ذريعة التحضر والتمدن فاللغة ارث اجتماعي لدى الشعوب يحتل مكانة مركزية في هويتهم ومن يمتلك اللغة يمتلك

الهوية الروحية والعقلية، فضلاً عن قدرة اللغة في حمل هموم متكلميها واسهامها في تنظيم سلوكهم وتفاعلهم وتعبيرهم عن مشاعرهم وتوحيد انتمائهم. فهي ليست آلية للتبليغ فقط بل هي قادرة على تجسيد وتصوير الثقافة اللسانية وفكرها كونها جامعة بين معبر عن الابداع وحامل للمعرفة ومنتج له، ووعاء للفكر والثقافة(٣٢). ولكون اللغة من ابرز المرتكزات الفكرية التي تعزز الهوية الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات، باتت مركزا للصراعات في العالم بسبب دورها في تحديد هوية الفرد واصوله وانتماءاته. ونظراً للانفصام اللغوي الهوياتي بين النخب المثقفة وعموم الشعب، فإن قضية الهوية وصِلَتها باللغة، باتت تمثل قضية محورية وسط صراع يشهده العالم تتجاذبه الهويات من ناحية واللغات من ناحية أخرى. لذا كان من واجب المثقف العربي الخوض في هذا الصراع للحفاظ على الهوية العربية بكل مضامينها، عن طريق الرد على تلك التحديات عبر توظيف الخطاب المسرحي.

المحور الثاني : الدين والمعتقد :

يعد الدين من الركائز الهامة في تشكيل الهوية الثقافية لأي امة من الامم، كون الطبيعة البشرية ومنذ الفطرة الأولى اعتادت في تفسير ظواهر الطبيعة على ايجاد اجابات لمسبباتها لا سيما تلك التي لم تجد لها سبباً منطقياً، فمنذ خُلق الانسان وشَكل الجماعات الأولى بدأ يعبد قوى الطبيعة البرق والرعد والشمس والقمر والطوطم وكلها انواع من العبادات التي تتبع معتقد معين.. وتطورت المجتمعات واختلفت الحضارات تطورت بالمقابل طرق تفكيرهم واديانهم ومعتقداتهم. فمن الديانات الوثنية كـ (المانوية والبوذية، المجوسية والزرادشتية المزدية) الى اديان توحيدية (اليهودية، الغنوصية، المسيحية، والاسلام) ولكل منها تعاليمها الخاصة. التي عاشت في مجتمعات مختلفة ، وعلى الرغم من اندثار العديد منها فلازال بعضها مستمراً في جماعات متفرقة من العالم، فالبوذية في الهند والصين ودول جنوب شرق آسيا، والزرادشتية والمجوسية في ايران واذربيجان واغلب هذه المجتمعات تعمل على توريث الدين والسلطة الدينية لأجيالهم(٣٣). وخلال مراحل التاريخ يتصارع مبشري تلك الديانات فيما بينهم لتحقيق الانتشار وبلوغ السيادة والغلبة على حساب باقي الديانات، وبوسائل وطرق مختلفة منها يتبع العنف (قتل، سلب، تهجير) ومنها تستخدم القوة الناعمة والاغواء بالمال والحرية وتحقيق الرغبات. ويسهم الدين في تشكيل الهوية الثقافية في البلاد العربية، اسهاماً بارزاً لا سيما الاديان السماوية، اذ تجمعهم هوية واحدة هي هوية العروبة والانتماء لحضارة عريقة تمتد لآلاف السنين قبل الميلاد. ولكون العراق هو جزء من الوطن العربي وهو يحمل من ذلك النسيج الاجتماعي

المختلف الاديان والطوائف وعلى ارضه نشأت وهي حضارة وادي الرافدين، اقدم الحضارات البشرية وان ابناءه يدينون بالدين الاسلامي الحنيف الذي جاء بتعاليم انقاذ البشرية من الرق والعبودية وكل انواع الظلم والاستبداد ودعا الى الاخاء والتسامح والمساواة بين الناس والاهتمام بالرعية مهما كانت انتماءاتهم وعقيدتهم، وهذا نص ما كتبه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب لمالك الاشتر عندما ولاه حكم مصر. "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك! وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم"(٣٤). فالدين يهذب السلوك ويعززه بالقيم والمضامين ليستثمره في مجال الثقافة، وتخلق التعاليم الدينية نوع من الترابط السلوكي مع الانطباعات الذهنية، بحيث يصعب تحليل السلوك دون فهم الاساس الذهني وسبب الفعل، لذا فأن المحتوى الديني يظهر في سلوك الفرد ويبرز هويته التي ينتمي اليها لاسيما في تكوين الطابع القومي، كون الدين يولد نوعاً من الوحدة والتماسك بين الافراد الذين ينتمون اليه فضلاً عن كونه يشكل ويدعم الروابط الاجتماعية بين افراده وكل هذه السلوكيات تحتكم للدين والمعتقد.. لذا فالدين وبهذه الخصائص يشكل جانباً هاماً من هوية الفرد والمجتمع(٣٥). ومع ظهور الدعوة الى التجديد وترك التقليد التي نادت بها "حركات دينية وسياسية اصلاحية منفتحة(جمال الدين الافغاني، ومحمد عبدة) على ان يكون ترك التقليد هنا (الغاء) كل التراث المعرفي والمنهجي والمفهومي المنحدر الينا من عصر (الانحطاط)، والحذر في نفس الوقت من السقوط (فريسة) للفكر الغربي، اما التجديد فيعني فهم (جديد) للدين، شريعة وعقيدة انطلاقا من الاصول مباشرة، والعمل على تحيينه أي جعله معاصراً لنا واساساً لفهمنا وانطلاقتنا"(٣٦). مما تقدم يرى الباحث ان تضمين النصوص المسرحية خطاباً متسامحاً يدعو للسلام والامان والوحدة والتعاون ونبذ الخلافات بصيغة جمالية تجذب المتلقي وتعزز انتماءاته لهويته التي ينتمي اليها ستجعل منه فرداً اكثر ايجابية وعطاءً في المستقبل.

المحور الثالث: الموروث الثقافي الاخلاق والعادات والتقاليد.

تتعامل الشعوب مع تراثها بأشكال مختلفة تبعا لبناها المعرفية وانطلاقا من احكامها ومفاهيمها. وهذا ما يفسر الاختلاف بطرق التعامل التي تتبعها الشعوب الغربية دون سواها من الشعوب الاخرى، فالمواطن الغربي يدخل ارثه الثقافي من باب الحاضر لا من باب الماضي، وهذا الموقف

المعرفي يفسر كيفية الفهم عند الغرب. ولتمييز هذا الفهم عما يحدث في الثقافات المتصارعة اليوم لابد من مقارنة طريقة تعامل الفرد مع التراث في كلا الحضارتين المتصارعتين(الغربية_ العربية)، ينقطع المجتمع الغربي عن الماضي معرفياً مع ابقائهم على روابط التواصل الثقافية معه.. بمعنى ان موقفه من تراثه يخضع لعملية فصل بين ما هو ثقافي وما هو تاريخي.. فما هو ثقافي (انساني ، اممي) يبدي تعلقه به، وما هو تاريخي (أي ما ينتمي الى اشكال التفكير والعمل لمطابقة نماذج الماضي، فانه يتعامل معها ببرودة وعقل نقدي(٣٧). بينما يتعامل شعوب البلدان العربية مع مسألة التراث على اساس لا يفصل فيه بين الماضي والحاضر. بمعنى اخر يتعامل العربي مع التراث الفكري على اساس انه جزء لا يتجزأ من الحاضر، يبقي نوع من التواصل الفكري بين الماضي والحاضر كون التراث عنده جزء من الوعي الاجتماعي والسياسي على اساس ما صح من مقولات في الماضي يصح في الحاضر، فضلا عن اهمية التراث في تشكيل نموذج خيالي اعلى في تقاليد المجتمع العربي، فلا يحق للإنسان سوى الاهتداء غير المشروط بنورانيتها(٣٨). ولديه تبقى مفاهيم التراث ومفاهيم المعاصرة تنتمي كلها الى بنية واحدة يسودها فهم واحد. ولتراث الثقافة العربية اعتبارات رمزية تعمل على تعزيز انتماء الفرد لذلك الارث الحضاري والثقافي، بل يتحول التراث بهذا السياق الى اطار لتأكيد العقائد. فالتراث في المجتمع التقليدي هو الخزان الحي لتجليات الفكر والادب والعلم للعصر الذهبي الذي مرت به الثقافة العربية، فالعودة للتراث تغدو رغبة ملحة في ذات الفرد العربي، لذا يُلاحظ هناك نوع من الشعور النوستالجي يشمل الوعي الجمعي العربي. كون التأمل في ذكريات الماضي وانجازاته يوفر الراحة والطمأنينة في النفس البشرية العربية، لا سيما مع صعوبة تحقيق ذلك الزهو في ظل التحديات والصراعات القائمة في العصر الحاضر. وعليه فالإنسان العربي ينتمي انتماء كلياً الى تراثه ويتباهى فيه معنوياً، اذ يشعر بان تعلقه بالتراث هو امتداد لتعلقه بالحياة والكون، وحتى لما بعد الحياة. فيأخذ التراث في هذه الحالة بعدا روحيا ونفسياً مما يضعه خارج دائرة التفكير وداخل دائرة التقاليد(٣٩). وهنا يرى الجابري" إن الفكر العربي بعيد عن العصرنة، في مجمله فكراً تاريخياً يفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية، ولذلك كانت قراءته للتراث قراءة سلفية تنزه الماضي وتقدسه وتستمد منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل"(٤٠). مما تقدم يرى الباحث ضرورة اعادة توظيف التراث في الخطاب المسرحي المعاصر بطريقة انتقائية بما يخدم سبل تعزيز المواطنة والثبات على الهوية الثقافية على ان يكون هذا التوظيف خاضعاً

للنقد الموضوعي محققاً الارتقاء بواقع المجتمع وتطلعاته.

المبحث الثالث: الخطاب المسرحي والهوية الثقافية:

المحور الاول: دور الخطاب المسرحي في تعزيز الهوية الثقافية:

يعد الخطاب المسرحي من السبل الكفيلة بتحقيق الحفاظ على الهوية العربية وجعلها هوية عالمية كونية تقارع الهويات العالمية، شريطة ايجاد تواصل كوني عابر للثقافات تروج له الوسائل الاعلامية المختلفة التي تدعم الاعمال المسرحية التي تعزز قيم المواطنة عبر تضافر العديد من جهود المسرحيين لتجسيده على أرض الواقع، فالخطاب المسرحي يعد أحد أبرز الأدوات المعاصرة التي تشكل الأفكار وتثبّت القيم والمعتقدات وهو ما جعل منه أداة فعالة لتوجيه الفكر والثّقافة فاستغل بشتى الوسائل من طرف القوى العالمية من أجل تحقيق السيطرة على العالم وتشويه الثقافات الاخرى، بمساندة وسائل الاعلام سواء المسموعة أو المرئية أو مختلف وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة من فيسبوك أو تويتر أو غيرها جعلها تلعب الدور المحوري في نشر فكر معين أو الحفاظ على هوية معينة والترويج لها كهوية عالمية نموذجية تعبر عن سلطة القوة. وتُورد الدراسة عدد من الامثلة المسرحية التي تعزز الهوية الثقافية على مدى العصور، ففي كتابات الشعراء الاغريق الثلاث لاسيما اسيخيلوس بمسرحية (الفرس) الذي وثق فيها الكاتب واقعة سلاميس تلك المعركة البحرية التي جمعت تحالف الدول اليونانية ضد الامبراطورية الفارسية والتي انتهت بهزيمة الاسطول الفارسي الضخم امام القوة البحرية اليونانية الصغيرة، انما تضع نصب المواطنين والاجيال بسالة الجندي اليوناني وتضحيته في الدفاع عن وطنه، فضلا عن تأكيدها ضرورة التوحيد بين ابناء الوطن امام المخاطر التي تهددهم، اما المشهد الاخير من المسرحية عندما يأتي الملك اكزركسيس (ملك الفرس) مقطع الثياب يحمل ذل الهزيمة، ويتحدث عن شجاعة الجيش اليوناني وقتل عدد كبير من جنوده(٤١). انما هو مبعث للفخر والاعتزاز بالانتماء لتلك الهوية التي قارعت اكبر امبراطورية في تلك الحقبة من الزمن. ولم يكتفي الرومان بنسخ المسرح اليوناني في مسارحهم بل اضافوا عليه ما يعزز هويتهم الخاصة وسبغوه بالصبغة اليونانية التي لم تكتفي باختلاف الموضوع بل شملت تغيير البناء الدرامي نفسه في المسرحية الرومانية. فكتب (سينكا) في التراجيديا وضمنها افكاره الرواقية حتى باتت اعماله تمثل هوية المسرح الروماني، فضلا عن العديد من التغييرات التي اجراها كتاب الكوميديا الرومان على بناء المسرحيات اليونانية أثناء إعدادها لتؤدى أمام الجماهير الرومانية. كان أهمها إزالة دور الجوقة البارز سابقًا بصفته وسيلة تقسيم

العمل إلى أحداث مستقلة. كما أضيفت الموسيقى المصاحبة لتكون ملحقًا مزامنًا للحوار المسرحي. فضلا عن تغيير البيئة المكانية بالنسبة للشخصيات الرئيسة، كما في مسرحيات (بلاوتوس وتيرانس) فيما بين (٢٠٥ – ١٨٤ ق.م). وكل ذلك من اجل تحديد هوية للادب الروماني بمعزل عن هوية الادب الاغريقي(٤٢). وحتى في العصور الوسطى لم تتخلى خطابات المسرح عن دورها في تعزيز روح الانتماء واعادة الثقة والتبشير بالمسيحية بعد ان خسرت الكنيسة شعبيتها واتباعها بعد فرض سيطرتها على المجتمع الاوربي بالقوة وهيمنتها على الحياة العامة بمختلف جوانبها وهذا ما قامت به الراهبة البندكتية (روزفيتا) التي خالفت تعاليم الدير وقامت مع مجموعة من الراهبات بتمثيل احدى قصص الانجيل وقد اعجب ادائهن جمهور الفلاحين ممن تجمعوا على ضفة النهر المقابلة للدير، الامر الذي جعل الكنيسة تعود من جديد لتوظيف الخطاب المسرحي لنشر تعاليمها بعد ان حرّمتْ المسرح وسائر الفنون لأكثر من الف سنة(٤٣).

اما في عصر النهضة الاوربية فكانت الخطابات المسرحية تؤكد الاتجاهات القومية وترسيخ العادات والقيم الاخلاقية النبيلة ونقد سلبيات المجتمع وتهذيبه وهذا ما يلاحظ في مسرح (موليير) والذي يقدم اعماله فيما بعد الكوميدي فرانسيس، ومن اشهر عماله في هذا المضمار: مدرسة الازواج، مدرسة الزوجات، طرطوف، الطبيب رغم انفه، البخيل، عدو البشر، النساء المتعلمات، المريض الوهمي، وأمفيترون التي اقتبسها من الكاتب اللاتيني بلاوتس، "في حين تسببت مسرحيته طرطوف، والتي تناول فيها النفاق الديني، في غضب الكنيسة عليه، لدرجة أن القسيس طالب بحرقه حيًا، ولكن لويس الرابع عشر ملك فرنسا استطاع حمايته"(٤٤). وفي العصر الحديث عندما كان المجتمع الاوربي يتجه صوب الرأسمالية المادية كتب (برتولد برخت) مسرحية (الام شجاعة واولادها) والتي يرى النقاد انها من المسرحيات المناوئة للحرب التي هزت العالم في النصف الاول من القرن العشرين ١٩٤١، وعلى الرغم من ان شجاعة الام التي اظهرتها في المسرحية هي شجاعة زائفة من اجل المال، الا ان المسرحية تضمنت عدة مشاهد تعزز روح الانتماء والتضحية في سبيل الجماعة التي ينتمي اليها الفرد، فعندما طلب جنود العدو من ابنها الاصغر ان يدلهم على مكان حفظ خزانة الكتيبة، رفض فأطلقوا عليه الرصاص وأردوه قتيلا(٤٥). وهنا غاية البذل والعطاء حين يقدّم الفرد نفسه ضحية من اجل حياة وسلامة الاخرين، بل لكي لا يوصم بالخيانة التي سترافقه ما بقي حياً. لذلك نجد الابن رغم صغر سنه الا انه يزهد بالحياة الذليلة ويفضل الموت عزيزا مخلصا للامة التي ينتمي اليها، ورغم تشظّي الافكار في هذه المسرحية الا

ان مشهدا واحداً افرز العديد من المرتكزات ليفخر بها من ينتمي لهوية ذلك الشاب، فروح المواطنة لديه لم تسمح له بخيانة شعبه التي قد تؤدي الى خسارتهم الحرب، وشعوره بالانتماء اليهم رخّص عليه نفسه امام نجاتهم، فضلا عن قيم الشجاعة والصمود والاخلاص والصبر التي تحلى بها امام تعذيب جنود العدو ورصاصهم. ويرسم الكاتب صورة في التمسك بالأرض وعدم التخلي عنها في مشهد اسرة الفلاح اللذين يلقون حتفهم وهم تحت نيران المدافع وبينما يسارع الواعظ محاولا انقاذ زوجة ذلك المزارع وهي تنازع الموت وجراحها تنزف فيسألها: "الواعظ: لماذا بقيتي هناك تحت مرمى المدافع ..

الفلاحة: (بصوت خائر) الحقل !

الجندي الاول : انهم بروتستنت . لماذا يعتنقون البروتستنتية؟"(٤٦).

وهنا يُلاحظ جانبا اخراً من جوانب حب الارض والانتماء الذي دفع بهذا المزارع البسيط وعائلته الى التمسك بحقلهم ومزروعاتهم وكوخهم البسيط ليس كونه يمثل لديهم قيمة مادية، بل كونه يمثل الوطن والتاريخ والارث والذكريات الماضي كما انه الحاضر بقساوته وفجر المستقبل مهما طال او بعد. كما اسهم الكاتب العرب في تعزيز الانتماء القومي والاعتزاز بالهوية العربية عبر عدد من الخطابات المسرحية التي تغنت بأهمية الوحدة العربية والتضامن العربي ومقاومة المحتل وترسيخ التعاليم الاسلامية ومنها مجنون ليلى، اميرة الاندلس ، عنترة (لاحمد شوقي) كما كتب (عزيز اباضة) عدد من المسرحيات منها قيس ولبنى ، العباسة ، الناصر، شجرة الدر ، غروب الاندلس شهريار.. ومسرحية الحلاج لصلاح عبد الصبور، وغادة الافاميا، والعباسة، ابو بكر الشبلي ، رابعة العدوية، الحلاج .. (لعدنان مردم بيك) وغيرهم من كتاب المسرح العربي ممن اثروا الساحة المسرحية العربية بأنواع مختلفة من الخطابات المسرحية للنهوض بواقع الهوية العربية لاسيما بعد نكسة حزيران وما اصاب المجتمع العربي من انهيار على كافة الميادين والذي انعكس بطبيعة الحال على هويته العربية الاسلامية.

المحور الثاني: نحو الانفكاك من سلطة الخطاب المسرحي الأيديولوجي:

لقد خاض في سبل الإقلاع الحضاري لأمتنا العربية والإسلامية العديد من المُفكرين الإسلاميين الذين قدّمُوا بجهودهم وأبحاثهم الكثير من الأفكار الرَامية إلى التّخلص من هذَا الانسداد التاريخي للأُمة الإسلامية مقدمين العديد من الحلول الفكرية على كافة الجبهات لاسيما المسرح الرامي إلى بعث سبل تجديد الخطاب المسرحي ممثلا بالقيم النبيلة وتعاليم الشريعة السمحاء واستغلال كافة الوسائل المتاحة ومنها وسائل الإعلام المختلفة التي لديها قوة تأثير كبيرة على الجماهير وتوجهاتهم الفكرية وذلك حتى تكتسب بنية ثقافتنا العربية الإسلامية مزيدًا

من الصلابة والقوة من خلال الترويج الجيد لأهمية هذه الخطابات في المحافظة على هويتنا الثقافية لاسيما لدى الشباب للوقوف بوجه التحديات المختلفة كنظرية تسطيح الثقافات مثلا، الرامية إلى السير وفق نمط القطب الثقافي الواحد ومن ثم القطب الديني الواحد وهو ما يخالف شرائع العالم بل يخالف الطبيعة البشرية التي تحب التمسك بهويتها، فنتيجة ذلك الاستلاب الثقافي الممارس عبر الوسائل المختلفة أُدخل العالم غير الغربي في متاهات عدم الفهم الحقيقي للثقافة والموروث الحضاري وهو ما يقودنا إلى التساؤل هل الخلل في بنية الثقافة العربية ؟ أم الخلل كامن في القوة الكبيرة التي تتمتع بها العولمة في اكتساح الثقافات؟، ولعل هذا يقودنا إلى ما قاله (زكي الميلاد) في كتابه الإسلام والعولمة لماذا لا تكون العولمة مكسبًا حيث يقول في تعليقه بخصوص الضمور التدريجي لثقافتنا العربية الإسلامية في علاقتها بالاستعمار الثّقافي الجديد الموجه ضدها "**إن الخوف الحقيقي على هويات وثقافات العالم من اكتساح العولمة الغربية وفرض الاتجاه الواحد، جاء نتيجة وجود الضعف والضمور في بنية وتكوينات هذه الهويات والثقافات، لذلك لابد من إعطاء الأهمية إلى التجديد الداخلي لهذه الهويات والثقافات، بما يكسبها المزيد من الحماية والمناعة والتحصن والقدرة على التكيف والتفاعل مع العالم**"(٤٧). ولكي يتحقق الانعتاق من الفكر المؤلدج الذي يقوم به الاستشراق كأداة من أدوات الهيمنة الفكرية من قبل القوى الغربية تجاه هويات العالم لاسيما الهوية العربية الإسلامية والعراقية باعتبارها جزءٌ منها، وهو ما أشار إليه المفكر المصري (حسن حنفي) في كتابه مقدمة في علم الاستغراب بأن العولمة بأدواتها الاستشراقية الجديدة المجسدة إعلاميًا هي: "**أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الغربية الأوروبية ذات القطب الواحد، ونهاية التاريخ، وصراع الحضارات، والإدارة العليا، وثورة الاتصالات والعالم قرية واحدة كونية، وكلها مفاهيم غير بريئة تكشف عن سيطرة المركز على الأطراف في تاريخ العالم الحديث**"(٤٨). ووقوفًا عند هذه المقولة يُلاحظ أن العولمة في بعدها الاستشراقي الجديد تُحِلُ شتى أنواع الهيمنة اقتحامًا للقيم الخصوصية لثقافات الشعوب والأمم وإحلالا للثقافة الغربية مكانها، وإذكاء للصراعات الإيديولوجية ونشرا للفتن الطائفية من خلال غرس أنظمة فكرية معينة يقودها أشخاص معينين عبر وسائل متعددة ومنها الخطاب المسرحي التي تروج للفكر المنحرف، من أجل التأكيد على إعلاء وسلطة للنموذج الحضاري الغربي كسلطة ثقافية مهيمنة وتغييب كل ما يمت بصله للقيم الانسانية النبيلة والفطرة البشرية، وهو ما أحال له المفكر المغربي (عابد الجابري) بدعوته إلى ضرورة إعادة النظر إلى

الوراء قليلا، بمعنى ضرورة اعادة دراسة تراثنا ونزع كل شائبة منه وبعثه من جديد حتى يكون أداة قوية وفعالة يمكنها مواجهة العولمة ولها قدرة استشراف المستقبل. اذ يقول الجابري: "**يبدو أن همنا لمستحيل علينا نحن العرب أن نجد طريق المستقبل ما لم نجد طريق الماضي، وبعبارة أخرى :لا يمكن للعرب أن يحلوا المشاكل إلا إذا حلوا مشاكل الماضي، إلا إذا أحصوا وحاصروا رواسبه في الحاضر .وإذن، فالمعركة يجب أن تكون نقدية، ويجب البدء برفع الضباب عن رؤية الماضي كي تتضح رؤية الحاضر والمستقبل**"(٤٩). هذه الرؤية العميقة تنم عن مدى قدرة الجابري على رؤية الأمور بطريقة أكثر وضوحًا، ففعلاً لا وجود لنهضة دون العودة للوراء من أجل الانطلاق من جديد، فالنهضة الحقيقية يجب أن تبنى على العودة للتراث وسبر أغواره من أجل استخراج مكامنه النفيسة وتوجيهها من طرف النخبة بما يخدم سبل الخروج من هذا التيه الحضاري تفعيلاً وتجديدً لهذا التراث في حاضرنا وعملاً به لمستقبل الأجيال القادمة، وهذه المسؤولية تقع على عاتق المثقف أكثر منه على أي فرد آخر باعتباره الأكثر مسؤولية والأكثر وعيًا بمجريات الحركة الحضارية والثّقافية للأُمم، وبالتّالي فهو الأجدر بالبحث عن تلك السبل وكيفية تطبيقها على أرض الواقع، وهو ما أشار إليه الجابري كذلك بقوله: "**إنا الازدهار الثقافي هو فعلاً من عمل النخبة، ولكن لا النخبة التي تطفو على سطح المجتمع ويمكن تعداد أفرادها، بل النخبة التي تلتحم قاعدتها العريضة بكلية جسم المجتمع لتمثل مختلف فئاته وطبقاته وتعبر عن آلامه وآماله، وتعمل على تنشيط عملية الانصهار داخله وتحريك مكامن القوة والخصوبة في أحشائه**"(٥٠). ومما تقدم يرى الباحث ضرورة التجديد الثقافي لهويتنا الثقافية لاسيما الخطاب المسرحي ممثلا بقواعد وأسس مبنية على الاعتزاز بالمواطنة والانتماء للوطن والامة عبر كشف الجوانب الايجابية في موروثنا الثقافي وتعزيز الانتماء العقائدي عن طريق توضيح التعاليم الدينة الاسلامية الحقيقية التي جاءت لإنقاذ البشرية لا تلك التعاليم المنقوصة التي يفرضها دعاة الدين والتدين من الاسلامويين عن طريق برنامج موحد يواجه التحدي في الوقت الحاضر. وتهيأت سبل لترويجها بطريقة جذابة عبر مختلف وسائل الاعلام العصرية يحث المسرحيين ذوي المهارات الفذة في الوصول الى قلوب المتلقين وجذبهم نحو ضرورة قراءة الحقائق بموضوعية وتأمل بعيدا عن الانطباعات الشخصية، بما يخدم المجتمع ويثبت قواعد الهوية الثقافية.

وفي ختام ما تقدم يدرج الباحث اهم مؤشرات الاطار النظري وهي كالاتي :

١. أسهمت العولمة الفكرية والاستلاب الثقافي الممارس من قبل المركزية الغربية في اضعاف الهوية الثقافية العربية والعراقية.

٢. التأكيد على اللغة كونها من ابرز المرتكزات الفكرية للحفاظ على الهوية الثقافية بكل ما تحمله من مقومات في عملية التواصل وتسجيل التاريخ الحضاري والابداع الادبي.

٣. لعبت الاحداث السياسية والاقتصادية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ دوراً بارزا في اضعاف الروح الوطنية والشعور بالانتماء لدى المجتمع العربي.

٤. اعتماد الادارة المركزية الغربية نظرية القوى الناعمة في تحقيق سيادتها الهوياتية.

٥. تضمين الأعمال المسرحية افكاراً ايديولوجية عبر حوارات شخصياتها، كما في خطاب مسرحية ابسن النرويجي(بيت الدمية) في الدعوة لتحرير المرأة من قيود المجتمع.

٦. دور الدين في تهذيب السلوك وتعزيز القيم الاخلاقية والمضامين التربوية التي تشكل مجال ثقافة الفرد وتحدد هويته. اذ يعد الارتباط الديني حافزا قوميا للمجتمع، كونه يولد نوعا من الوحدة والتماسك بين الافراد الذين يعتنقونه، فضلا عن كونه يؤكد الروابط الاجتماعية بين افراده.

٧. ان تضمين الخطاب المسرحي مفاهيم دينية نابعة من قراءة الاصول مباشرة وبطريقة عصرية يسهم في تعزيز انتماء الفرد وثبات هويته.

٨. انتماء مفاهيم التراث ومفاهيم المعاصرة للثقافة العربية الى بنية واحدة يسودها فهم واحد، والتراث لديهم يحمل اعتبارات رمزية وروحية. اذ يعد التراث في الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من حاضر وعيهم الاجتماعي والسياسي المعيش.

٩. توظيف الخطاب المسرحي كأحد السبل الكفيلة بتحقيق الحفاظ على الهوية العربية وجعلها هوية كونية، اذا ما تم توظيفه بطريقة مثلى.

١٠. توظيف التراث الثقافي العربي في التأسيس لخطاب مسرحي يسهم بدور فاعل في اعادة تشكيل الهوية العربية والعراقية.

الفصل الثالث: الاطار الاجرائي.

منهج البحث : اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي اذ وجده الاكثر ملائمة للبحث وذلك للأسباب الاتية:

- تعد المعلومات التي يقدمها المنهج الوصفي التحليلي معلومات دقيقة للغاية، وتتحدث عن الظاهرة التي قام الباحث بدراستها والأحداث التي مر بها الباحث خلال البحث العلمي.
- يلعب المنهج الوصفي دورا كبيرا في شرح مختلف الظواهر كما أنه يتنبأ بالمستقبل.
- يفسح المنهج الوصفي التحليلي المجال أما الباحثين للدراسة في كافة المجالات.

– من خلال المنهج الوصفي يقوم الباحث باستخراج العلاقات بين الظواهر، ومن ثم يقوم بتوضيحها.

اداة البحث : اعتمد الباحث اهم المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري كأداة لتحليل العينة.

طريقة اختيار العينة: عمد الباحث لاتباع الطريقة القصدية في اختيار العينة كونها تحقق اهداف الدراسة، فضلا عن كونها تتسم بمقومات النص الاكاديمي ذو البنية الرصينة الذي يستحق الدراسة.

عينة البحث : (مسرحية الميدان)(٥١) عقيل مهدي يوسف:

المتن الحكائي :

تدور أحداث المسرحية بين مجنده في قوات الاحتلال الامريكي للعراق بعد عام ٢٠٠٣ وهي عراقية الاصل، وبين احد سياسي العراق العائدين من الخارج ممن شكلوا المعارضة السياسية ايام حزب البعث. يتضح من حوارات المسرحية انه الدكتور (احمد الجلبي) مؤسس حزب المؤتمر الوطني العراقي.

تبدأ المسرحية باقتحام المجندة منزل (احمد) بحجة التفتيش عن جماعة مطلوبين يختبؤون في بيت الجلبي. وتتحدث المجندة عن ورود معلومات تكشف تورط احمد في عمليات تخالف القانون وهو يرد كل تلك الاتهامات بأنها مكيدة من الحاكم الامريكي للإطاحة به، كونه سبق وان حذر (بريمر) من الانتهاكات التي حدثت ابان فتره حكمه للعراق وانه يسرق ممتلكات البلد ويهرّب الاثار لمصالحه الشخصية... وبعد مساجلة واتهامات تكشف المجندة عن مهمتها في قتل احمد بالسم لأنه يثير الجدل لدى الحاكم. وهي غير متأكدة من خيانته او وطينته الا انها لا بد ان تنفذ رغبة وأوامر ولي نعمتها المحتل الامريكي.. ورغم ذلك الافصاح عن الغاية المبيتة للمجندة نجد احمد لم يتنازل عن قيمه وقوانينه متمسكاً بهويته ومؤمناً بقضيته ومعتقداته غير منكراً تعاليم دينه وان ابتعد عنها بعض الشيء الا انه يشير الى التوبة والمغفرة، وان الله يقبل توبة المرء حتى ان كان على فراش الموت. الا ان تلك العراقية المجندة لم تترك سبيلاً يوصلها الى غايتها في تنفيذ امر الحاكم فتخبره بأنه بحكم المقتول لأنها استطاعت ان تدس له السم القاتل الذي يسبب الموت البطيء ودون ان يشعر به احد، شامته به وبموت الوطن ايضا الا انه بكل شجاعة يواجه الموت ويأمل ان تشرق شمس بلاده من جديد كما هي شمس الدنيا.. فاذا غابت لا بد لها من شروق قريب.

التحليل:

مما لاشك فيه ان مادة مسرحية الميدان مستقاة من واقع العراق السياسي المعاصر. وتحديداً بعد احداث ٢٠٠٣ وظفها الكاتب لتكون منتجاً ادبياً تجاوز التقليدية في الطرح الواقعي او سرد الروائي في نصوص سيرة الدرامية.. انما عالجها بطريقة الامتصاص واعادة التشكيل بإسلوب فني

جمالي كاشفاً عن حرفية عالية في كتابة النص المسرحي العصري الذي يميل الى الاختصار دون ان يؤثر ذلك الاختصار على بنية النص وتكامله الفني والجمالي. فالنص يطرح العديد من الاستفهامات والشكوك حول شخصية مركزية في المسرحية (احمد) وبالتالي يبدد تلك الشكوك لا بالإجابة المباشرة عن تساؤلات (المجندة) وانما يدفع القارئ للاستنتاج بعد البحث في مجريات الواقع السياسي الذي يشكل المتلقي جزء منه وبالتالي الوصول الى نتيجة اساسها قناعة عقلية مبنية على وقائع ثابتة لا انطباعات مبنية على اساس التظليل الاعلامي واتهامات واشيه. ومنذ بداية المسرحية يطرح الكاتب اولى الشبهات حول علاقات بطل المسرحية النسائية بأن جعل الكاتب الى مداهمة بيت (أحمد) من قبل مجندة امريكية من اصول عراقية ولم يصور المداهمة بواسطة جنود او ضباط امريكان.. كون ان هذه الشبهة لها جذور واقعية تحوم حول الشخصية السياسية المقصودة بالعمل وهو الدكتور(احمد الجلبي) الذي يمثل استفهاماً كبيراً في الواقع السياسي العراقي يشوبه الغموض والتظليل سواء اثناء حياته او بعد مماته بل حتى في سبب وفاته. فالكاتب اوجد مجندة تقوم بعملية المداهمة لضرورة الاجابة عن تلك الشبهة والتي لم تكن بدافع الرغبة بل بهدف التجسس والارغام ومن بعدها الاعدام اذا حانت ساعة الصفر وموعد التنفيذ. بما ان الجلبي يعد عراب التحالف لقوى للمعارضة في الخارج وكان الوسيط مع الامريكان قبل عام ٢٠٠٣ لذلك يورد الكاتب الشبة الثانية وهي تواطئ احمد مع الامريكان وهذا ما يتجلى بالحوار الاتي: – **احمد :هل انتِ عراقية؟ _المجندة: بقدر امريكيتك! ص(٢٦٥).**

وهذا ما روجت له وسائل الاعلام والقوى السياسية المتصارعة بعد سقوط نظام البعث وتولى الادارة الامريكية الاشراف على الحكومة العراقية المشكلة من ائتلاف الكتل السياسية. وتقاسم السلطة بين المكونات الثلاثة الرئيسية فهي (الشيعة، السنة، الاكراد) . ولكي يكشف الكاتب دور الادارة الامريكية في نشر الطائفية واثارت الفتن والقلق السياسي فأنها تشير باصابع الاتهام الى البيت الشيعي بهذه الجرائم بل اتهام احمد بتدبيرها وهذا ما يلاحظ في الحوار آلاتي :

"**المجندة :ارادوا تفحص البيت الشيعي من الداخل .**

احمد: من؟

المجندة : العساكر.. قواتنا قوات التحالف تبحث عن ثمانية رجال.

احمد : ما شأني بهم؟

المجندة : هم من تجندهم انت.. للقتل والتجسس والسرقة(ص١٦٥).

وربما تكون مهمة تفحص البيت الشيعي من داخل والبحث عن الرجال الثمانية هو اشارة الى تحالف الكتل الشيعية المكونة للبيت الشيعي. (المؤتمر الوطني ، دولة القانون، المجلس

الأعلى، التيار الصدري... الخ). ويورد الكاتب ثيمة الانتماء للوطن والمجتمع العراقي كقيمة راسخة في شخصية بطل المسرحية حين يقول:

_احمد : لما هذا الجنون وفي بيتي..

_المجندة : البيت شيعي تقصد؟!

_احمد : ((بيوتنا كلها للعراق، عشائرنا واحدة، انتماؤنا واحد.)) (ص ١٦٥).

وهذا الحوار يؤكد على الشعور الوطني بالانتماء للعراق وليس لطائفة دون أخرى مما يجعل القارئ يصل لحقيقة هذا الانتماء عن طريق الاستنتاج العقلي لا عن طريق الدفاع والتبرير. ويشير الكاتب فقدان المجندة الى هويتها العراقية بعد ان اندمجت بالفكر الغربي الوافد. دون الالتفات للجوانب السلبية في تلك الهوية البديلة التي تفقد الفتاة حيائها وعفتها والتزامها الاخلاقي كما في الحوار آلاتي:

"**المجندة : كن (جنتنمان) دعنا نقيم وليمة فاخرة عامرة باللذة واصنافها، فأنا امرأة عصرية. واقعية لا تحب وضع النقاب، لا تحتجب رغائبي خلف براقع الزيف : واحب المكاشفة الجريئة**"(ص١٦٦).

وفي هذا الحوار تجلى واقع ضياع هوية المجندة تحت ما يسمى بالتطور والعصرنة والتأقلم مع الواقع. بكل ما يبدو عليه من تناقض مع هوية المرأة العراقية المحافظة التي تتسم بالحياء والترفع عن طلب الشهوات والملذات والرغائب بحسب ما تحمله من دين ومعتقد وكذلك التزامها الاخلاقي والاعراف التي تحكم مجتمعها الذي تنتمي اليه. ويعكس الانسلاخ عن المبادئ والقيم تلوناً بالوجوه، دلالة على اتباع الميول والرغبات والتقلب ويظهر ذلك في حوار أحمد للمجندة حين يقول؟ "**عراقية شقراء تتحول الى سمراء. من تكونين بحق الجحيم؟**" **(ص ٢٦٧)**. وهذا تعبير عن التيه في الانتماء الذي وصلته تلك المجندة الفاقدة للهوية فليس لها جذر ثابت او وجه ثابت تعرف به.. ويواصل الكاتب عرض الشبهات التي لاحقت احمد كالعمالة والتبعية الامريكية وخيانة البلد وتهريب الاموال والاختلاس واثارة الفتن لذا تقول المجندة " **ربما تكون عميلاً مزدوجاً مثلي؟!** "**(ص ٢٧٤)**. وفي هذا الحوار، يُلاحظ ان الكاتب لم يعرض رأيه الشخصي داخل النص وانما عرض ما يشاع بجراءة وشجاعة تاركاً مهمة الكشف للمتلقي عبر تتبع الاحداث وقراءة الواقع السياسي المعيش وربطه بالوقائع اللاحقة. ثم يورد الكاتب قيمة الاعتزاز بالماضي وما يحمله من تاريخ وقيم اخلاقية وعادة وتقاليد اوردها الاسلاف. عبر حوار احمد بالقول : "**لكن لي ماضي، ما المستقل سوى مرآة للماضي؟**" **(ص ٢٨٦)**. ومن قيم الدين الإسلامي الحنيف هي الوحدة والمؤاخاة بين المسلمين فتكون قوتهم بالوحدة والتعاضد والمحبة، لذلك فالكاتب يأتي بمبدأ الاخوة بين العرب والاكراد وهم المكون الرئيسي

للمجتمع العراقي فيقول:" **كنا نهدف مع اخواننا الكرد تغير النظام**"(ص٢٦٩).

وفي المسرحية استطاع الكاتب عقيل مهدي ان يجمع بين الشبهة ونقيضها في شخص (احمد) لأنه لم يرغب بإعطاء المتلقي انطباع معين يؤثر بقراره، بل انه ترك النهايات مفتوحة ليس لنهاية المسرحية فقط، بل لسائر الاحكام التي طرحت شبهاتها في النص، فضلاً عن كونه طرح سمات ارتكاز تعزيز الانتماء وتشكيل الهوية الثقافية عبر عدة حوارات منها ما يفترض ان يتحلى به الفرد من الشعور الوطني والالتزام الديني والاخلاقي ومقدار ما يحمله من الارث الثقافي والحضاري للمجتمع الذي ينتمي اليه ويذوب به حد التماهي. فالوطن كله بيتنا والافراد كلهم اخوة والعادات والتقاليد هي ورث اجدادنا فالماضي ركيزة يعيش بها الحاضر ويتطلع لها المستقبل. في هذا الموضع تجدر الاشارة الى قدرة الكاتب على التنبؤ لنهاية (احمد) المأساوية عبر استقراء الواقع السياسي في العراق في تلك الفترة، وكأنه كان يشاهد ما سيحدث بعين بصيرته. فالنص طبع عام ٢٠١١ وكانت وفاة احمد الجلبي ٢٠١٥. وتدور الشبهات حول سبب الوفاة، حتى تسربت بعض الاخبار حول مقتله مسموماً. وهذا ما يتوقعه الكاتب كنهاية لحياة احمد المتمسك بوطنية وهوية المعارض للفكر والادارة الغربية بأن يقتل مسموماً.. بمفعول سم بطئ لا تظهر اعراضه مباشرة بل تبدو وكأنها وفاة طبيعية. وقد وصفها الكاتب المشهد الرابع من المسرحية.

"**المجندة : (تضع مسحوقاً ابيضاً في الكأس)،. من حق المتهم ان يحتسي الماء، خذ**" **(ص ٢٦٩)**.

وهذه الطريقة يتبعها الغرب للخلاص من معارضيهم دون ان توجه لهم اصابع الاتهام مثلما كشف التحقيقات اغتيال الرئيس الفلسطيني بالسم البطيء الذي حير الاطباء حتى وفاته. كذلك يشير الكاتب الى النهاية التي يؤول لها البلد اذا تخلى عنه أبنائه وتحول حبهم الى كراهية وانجرفوا وراء الفتن والمخططات التي يأتي بها الاجنبي لبلد سبق العالم بحمل مشعل المعرفة والحضارة. ويتجلى ذلك في حوار المجندة آلاتي :

"**المجندة : ليقتل العربي شطره الثاني وليفتك الكل في الكل عرب، كرد، تركمان ويجر بعضهم رقاب البعض، الازيدي، المسيحي، الصابئي، والمسلم، اهدم، فجر، الكنائس والمساجد والحسينيات فلم يتبقى لهذا الوطن من مستقبل!! الكل رماد وقضة ربح**"**(ص ٢٧٣)**.

وهذا ما تطلبه الثقافة الغربية في تحقيق السلطة والسيادة والغاء الوجود الثقافي لغير ثقافتها. ثم يعود (أحمد) الى التطلع للخلاص من قبضة ذلك الاحتلال الذي جاء بذريعة التحرير وتخليص المجتمع العراقي من الظلم والاستبداد الا انه استبد ليزرع أفكاره وسمومه وليدعوا لإذابة

الهوية العراقية بالهوية الغربية والفكر الغربي وينظر لوجه ربه متضرعاً بالدعاء الذي يعد في الثقافة العربية الاسلامية من مضامين الدين والمعتقدات فيقول :

احمد :"يا رب الاكوان، اسبغ الرحمة على قلوب الناس واعصمنا من طوفان الافاعي التي تسرق وردة الوطن... يا رب الرحمة، ارفق بي"(ص ٢٧٣_٢٧٤).

وعن الافكار الملوثة التي تصيب العقول وتشل قدرتها ع تفكير ولإدراك لما يدور حوله من محاولات تفتك بهويته وقيمه ومبادئه. عبر الحوار آلاتي :" **احمد : كلها لا تساوي ثقل تلوث عقولكم بعد ان تسرطنت ضمائركم وانسدت الافاق امامكم"(ص ٢٧٤)**.. في نهاية المسرحية ترتسم الحيرة على محيا احمد بعد ان يعلن التوبة ويستغفر عن ذنوبه وهو مؤمن بالله وبقبول التوبة من العباد غير خجلاً من انتمائه الى بلد يؤمن بالأصوليات والعادات والتقاليد والتعاليم الإسلامية. معرباً عن قبح ما ينتجه العالم من اصوليات، ويشرع الارهاب ويشيع الأمراض ولا زالوا لهذا اليوم يتماهون مع الاسطورة والجنس والشهوة كما في الحوار آلاتي :

"**المجندة : وطن ينتج الموت وجوع.**

احمد : العالم ينتج اصوليات ايضاً. ويشرع الارهاب ويشيع الجوع والايدز والأمراض الجرثومية.

المجندة : اقتدي بجدادك العظام اذاً؟

احمد : لم استجدي توازني واخلق لنفسي عالماً اسطورياً متهافتاً، مازال الغرب يتماهون الاسطورة...

المجندة : ذهب الوطن مع اهله.

احمد : مثل شمس جديدة.... سيعود

المجندة : ستموت

احمد : لنرى (ص ٢٧٦).

في الحوارات الاخيرة للمسرحية زرع الكاتب قيم شجاعة والايمان والتحدي وصمود في وجه المحتل وجعل احمد يواجه مصيره بشموخ وشجاعة دون خضوع حتى بعد تهديده بالموت وقول المجندة ((ستموت)) الا انه يؤمن بأن الوطن لن يتوقف على شخصه، حتى وان مات احمد فهناك الآلاف بل الملايين ممن يشكلون بنيه هذا البلد ولابد ان تشرق شمسه من جديد ما زالت هويتهم على قيد الحياة.

الخاتمة_: النتائج:

ومما تقدم يطرح البحث عدد من الإشكالات والتساؤلات التي تدور حول سبل الارتقاء بالهوية الثقافية العربية عبر الخطاب المسرحي، وقد سعت الدراسة لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف بوجه الاستلاب الفكري للهوية الثقافية ومنها(العربية والعراقية)، يدرج الباحث عدد من النتائج والاستنتاجات التي يأمل أن تسهم في ترميم تصدعات الهوية العربية والعراقية، وهي كلاتي:

١. اعتمدت بنية المسرحية في مادتها احداث الواقع السياسي في العراق بعد احداث ٢٠٠٣.

٢. اظهر الكاتب براعة فذة في توظيف تلك الاحداث لتأسيس منتج ادبي تجاوز التقليدية في الطرح الواقعي او السرد الروائي في نصوص السيرة الدرامية.

٣. تمكن الكاتب من تشكيل خطاب مسرحي عصري محمل بالعديد من المفاهيم والقيم الاخلاقية والدينية التي تعزز الانتماء وحب الوطن والشعور بفخر الانتماء اليه.

٤. اتسم الخطاب المسرحي لمسرحية الميدان بطابع جمالي عبر تطبيق اليات نظرية التلقي، وابراز اهمية اللغة في كشف الهوية الثقافية، اذ لم يلجأ الكاتب الى الحلول المباشرة بل يدفع القارئ الى التحليل والاستقراء وربط مجريات الحدث المسرحي بأحداث الواقع للوصول الى رؤية منطقية.

٥. كانت النظرة الموضوعية من ابرز سمات خطاب مسرحية الميدان، اذ ان الكاتب ابتعد عن اعطاء أي حكم مسبق، وانما تقدم بعرض الاحداث بحيادية تامة تاركا للمتلقي حرية القراءة. فمثلا هو لم يصرح بخيانة المجندة لبلدها وانسلاخها عن هويتها وتحررها من قيود مجتمعها، كما انه لم يقرر وطنية احمد وحبه لوطنه وشعبه وتمسكه بهويته الثقافية العراقية وانتماءه الديني.

٦. في النص اشارة الى التظليل الاعلامي من قبل المؤسسات الاعلامية المؤدلجة التي تهدف للفتك بالهوية الثقافية بهدف تسطيح العالم وجعله ثقافة واحدة والغاء التعددية الثقافية.

٧. اشار الخطاب المسرحي الى دور الاحتلال الامريكي في اثارة الفتن الطائفية بين ابناء الشعب الواحد، وما له من دور في الاستلاب الفكري عبر عولمة مفاهيم الهوية الغربية.

٨. اكد الخطاب على ثمية الشجاعة في مواجهة التحديات التي واجهتها الشخصية الرئيسة في المسرحية(احمد) عبر تمسكها بوطنيتها واعتزازها بالانتماء للوطن وعدم الانصياع لرغبة المحتل في سلب ذلك الانتماء.

٩. عمد الكاتب الى تضمين التراث في الخطاب المسرحي كونه احد الدعائم التي تشكل الهوية الثقافية لأي مجتمع لاسيما تراث العراق الحضاري والثقافي، وجعل حوارات بطل المسرحية تمجد ذلك الماضي الزاهر.

١٠. وضح خطاب المسرحية اهمية العادات والتقاليد الاجتماعية في تحديد هوية الثقافية، عبر التنديد بصفة النفاق الاجتماعي واتباع الميول والرغبات التي لا تراعي العرف والدين والمعتقد والبعيدة عن الاخلاق في شخصية المجندة التي صورها الكاتب لتجمع بين الاضداد .. اذ انها تدعو للديمقراطية والتحرر من جهة،

وفي نفس الوقت تشيع الفتن واثارة الضغائن من جهة اخرى.

١١. كشف الخطاب المسرحي العراقي عن قدرته على تعزيز الهوية العراقية لدى المتلقي، عبر طرح قضايا التاريخ الحضاري بأسلوب معاصر.

الاستنتاجات :

١. تركزت القيم الاخلاقية التي تعزز الهوية الثقافية في الاعمال المسرحية التاريخية ذات الطابع الرمزي والتعبيري، الامر الذي دفع المتلقي للشعور بالحنين الى الماضي، اذ حفزت عملية ربط المتشابهات واحلال النفس مكان الشخصيات، القدرة التخييلية للمتلقي والشعور بأنواع الحنين منها (حنين الوطن) الذي تعددت صوره بحسب تعدد المواقف التي عاشها المتلقي كما في مسرحية (غادة الافاميا، شجرة الدر).

٢. تنوعت الخطابات المسرحية بحسب الموضوعات الاكثر تأثيرا في شخصية المواطن العراقي. ويبدو حضور وعي المؤلف باهمية المواطنة والهوية الثقافية لاسيما في الاعمال كتبت في المهجر.

٣. امتزجت القيم الاخلاقية والدينية الى جانب اللغة والموروث الثقافي في الخطاب المسرحي لتشكل هوية المواطن العراقي والعربي.

٤. ركزت الاعمال المسرحية على حالات التثاقف واثرها في نشر الفكر الغربي داخل المجتمعات العربية بحجة التحضر والعصرنة. فضلا عن انعكاس آثار الكولينيالية في خطابات الاعمال المسرحية المقدمة.

٥. وظفت مختلف الاعمال المسرحية عربياً وعراقياً لتحقيق اهداف جمالية على مستوى الكتابة المسرحية، ولإظهار نوع من المعاناة البشرية التي تتعرض اليها الهوية الثقافية في لمجتمعات مختلفة.

٦. تبنت النماذج المسرحية استخدام الامكانيات اللغوية في تصوير الشعور القومي وبأشكال متعددة وبثها داخل الخطاب المسرحي. عبر (تعرية السياسة والمجتمع وكشف حقيقتهم).

المصادر والمراجع:

١. ابن منظور: لسان العرب: ج١٥، ط٣،(بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٢. اسخيلوس: تراجيديات اسخيلوس : تر: عبد الرحمن بدوي،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦).

٣. انجلر، باربرا: مدخل الى نظريات الشخصية، تر: فهد عبد الله دليم، (السعودية: دار الحارثي للطباعة والنشر، ١٩٩١).

٤. برخت، برتولد: الام شجاعة واولادها: تر: عبد الرحمن بدوي: (الكويت : وزارة الاعلام ١٩٧٨).

٥.بلقزيز، عبد الاله: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية،(المغرب: أفريقيا الشرق ، ١٩٩٨).

٦.الجابري، محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٩).

٧.ـــــــــــــــــ: اشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط٤،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠).

٨.ـــــــــــــــــ: الخطاب العربي المعاصر، ط٦ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٩).

٩.ـــــــــــــــــ: مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٥).

١٠. ـــــــــــــــــ: نحن والتراث. قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي.(بيروت: المركز الثقافي العربي،١٩٩٣).

١١. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٥)، باب الهاء.

١٢. الجهوية، ملحقة سعيدة: ((المعجم التربوي)) المركز الوطني للوثائق التربوي،(جمهوية الجزائر الديمقراطية الشعبية: وزارة التربية، ٢٠٠٩).

١٣. حسين، اسماعيل: موروثنا الشعبي _ الهوية الضائعة، صحيفة (الجزيرة السعودية)، العدد ١٠٥٧٥ في ٢٠٠١/٩/١١.

١٤. حنفي، حسن: مقدمة في علم الاستغراب، ط٢، (القاهرة: المؤسسة الجامعية، ٢٠٠٠).

١٥. دافيدوف، يوري : الثورة والفن (القرن العشرين)، تر: سامي الرزاز، ط١،(القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٨).

١٦. زاهر، ضياء الدين: اللغة ومستقبل الهوية: التعليم نموذجاً،(مصر: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١٧).

١٧. زكي الميلاد: الإسلام والعولمة لماذا لا تكون العولمة مكسبا لنا، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ، ٢٠١٠).

١٨. شيني، شلدون: تاريخ المسرح في ثلاثة الاف سنة : تر: دريني خشبة، (القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي،١٩٦٠).

١٩. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي: ج٢، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢).

٢٠. عبد السلام، رفيق: القوة الصلبة والقوة الناعمة، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط٤، ٢٠١٥.

٢١. عطية، محمد عبد الرؤوف: التعليم وازمة الهوية الثقافية،(القاهرة: مؤسسة طيبة ، ٢٠٠٩).

٢٢. علي بن ابي طالب : نهج البلاغة،

٢٣. عمارة، محمد: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٩).

٢٤. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة فكر.

٢٥. فيزهوفر، يُزف: فارس القديمة – ٥٥٠ ق. م- ٦٥٠ م، تر: محمد جديد،(سوريا: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩).
٢٦. القران الكريم.
٢٧. القيلي، عناية حسن: التعزيز في الفكر التربوي الحديث، (القاهرة : شركة أمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤).
٢٨. لبصير، نور الدين: تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، (الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي،٢٠١٥).
٢٩. معشوق، فريدريك: اشكالية التراث، مجلة الموقف الادبي السورية، العدد ٤٢٩، ٢٠٠٧.
٣٠. معشوق، فريدريك: مدخل الى سوسيولوجيا التراث، (بيروت: دار الحداثة، ٢٠٠٤).
٣١. موليير: الاعمال الكاملة : تر: انطوان مشاطي، مجلد الاول،(دار نظير عبود،١٩٩٤).
٣٢. نخبة من الباحثين السوفيات: الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم: ط٦، (بيروت: دار الطليعة ، ١٩٨٧).
٣٣. هارليس وهليبورن: سسيولوجيا الثقافة والهوية ، تر: حامد حميد محسن، (دمشق: دار كليوان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠).
٣٤. يوسف، عقيل مهدي: جمهورية الجواهري،(بغداد : مكتبة عدنان ، ٢٠١١).

المصادر الاجنبية:

1. Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard,Paris, 1997.
2. *Bieber, Margarete. The History of Greek & Roman Theater. Princeton, NJ: Princeton University Press,1961).*

مجلات وصحف:

١. سعيد التل، هوية الإنسان في الوطن العربي، (مشروع قراءة جديدة) الحلقة الاخيرة، جريدة الدستور الالكترونية، تم نشره في الاثنين ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦. ٠٣:٠٠ مساءً، تم الاقتباس يوم الجمعة ٢٠٢٢/٣/١١ الساعة ٠٣:٠٠. بعد الظهر.

المواقع الالكترونية:

35. https://mawdoo3.com.
36. https://ar.wikipedia.org/wiki.
37. https://kalimmat.com.
38. https://www.maajim.com/dictionary
39. https://www.almaany.com.